الدلالات النفسية للألوان فى رسوم الأطفال

أ. د. عادل كمال خضر
أستاذ علم النفس الإكلينيكى والتحليل النفسى
ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب - جامعة بنها

مقدمة

إن الطفل الذى يرسم يحب تلوين رسوماته، حيث يميل الطفل إلى التعقيب علي رسم الشكل بعمل إضافى يرمى إلى تغطية أجزاء من مساحة الرسم بالخطوط الملونة، وهو يهتم فى ذلك بتعدد الألوان، ومن الصعب جدًا أن يرفض الأطفال فى سن ما قبل المدرسة تلوين رسوماتهم، فاللون بالنسبة للطفل هو وسيلة للتعبير والاتصال، كما أنه يعكس ردود الأفعال - الانفعالية المتنامية لدى الطفل.

(أوسفالدور فيرارى : ١٩٩٧)

إن الأطفال يعبرون برسومهم وألوانهم لا عما يرونه ولكن عما يشعرون به، فهم حينما يجتازون تجربة خاصة يلجأون إلى الرسم للتعبير عن الأثر الديناميكي الذي تتركه هذه التجربة في نفوسهم (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠). والرسم بالألوان له قيمته التشخيصية حيث التعبير عن انفعالات وصراعات وصعوبات عامة على المستوى غير اللفظي وغير الظاهر، أي للتعبير عن التوترات أكثر من التعبير عن مشكلات تبلورت على المستوى الشعوري. والرسم بالألوان له قيمة خاصة للتعبير الذاتي فيما بين السنة الثانية والسنة الرابعة. وهو أكثر قيمة للأطفال المضطربين الذين يسهل عليهم الرسم بالفرشاة عن الرسم بالأصابع أو تشكيل الصلصال. وقد يساعد الرسم بالألوان الطفل على التعبير عن اضطراباته الغامضة بشكل أكثر تحديداً، ويكون للرسم بالألوان قيمة تشخيصية أكبر بالنسبة للأطفال الذين يعانون من الكبت والخجل والذين يحاولون شعورياً أو لا شعورياً تغطية أو إخفاء مشاعرهم الحقيقية. ويمتاز الرسم بالألوان بإمكانية الاحتفاظ به لتفسيره في مرحلة لاحقة، على عكس اللعب بالمكعبات أو تشكيل الصلصال أو اللعب الدرامي (لويس مليكه : ١٩٩٠).

والألوان مجموعتان مجموعة باردة ومجموعة حارة، أما المجموعة الحارة Warm Colors فتشمل اللون الأحمر، والأصفر، والبرتقالي. وأما المجموعة الباردة Cold Colors فتشمل اللون الأزرق والأسود والأخضر والبني. ويميل الأطفال الذين يستعملون الألوان الحارة إلى أن يعبروا عن عواطفهم تعبيراً واضحاً في سلوكهم فتكون علاقاتهم بالآخرين حارة قوية ويغلب عليهم الاهتمام بالذات، كما يتميزون بالتوافق في أوساطهم الاجتماعية. أما الأطفال الذين يستعملون الألوان الباردة فيتميزون بمقدرتهم الكافية على السيطرة على أنفسهم والتحكم فيها، وهم أميل إلى أن يكونوا «مسيطرين بآرائهم»، «ذوي ميول عقلية»، «لهم عزيمة قوية»، «أنانيون»، «يلعبون بمفردهم لا يعبئون ولا يعتمدون على الآخرين الأكبر سناً» (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠).

وفيما يتعلق باستخدام الأطفال للألوان في رسومهم ودلالته النفسية، فقد اهتم الباحثون بإبراز عدة عناصر للون في رسوم الأطفال يمكن تحديدها في خمسة عناصر وهي : ١- تطور اختيار واستخدام الألوان في رسوم الأطفال، ٢- مدى واقعية التعبير بالألوان، ٣- عدد الألوان المستخدمة في الرسم، ٤- تفضيل الأطفال لاستخدام ألوان معينة في الرسم، ٥- طريقة الأطفال في وضع الألوان على لوحة الرسم.. وفيما يلي نعرض لكل عنصر منها بشيء من التفصيل :

أولاً - تطور اختيار واستخدام الألوان في رسوم الأطفال :

في مرحلة الشخبطة لا يوجد فرق بين الأطفال في اختيار واستخدام الألوان، فجميعهم يستخدمون الألوان بنفس الطريقة. وفي هذه المرحلة لا يكون للون وظيفة خاصة في عين الطفل، ويميل صغار الأطفال في البداية إلى عمل رسوم أحادية اللون، كذلك يقومون بتكرار نمطي للألوان فالشمس تظهر فقط باللون الأصفر، والعشب باللون الأخضر، والسماء باللون الأزرق الفاتح (السماوي) الخ. وفي هذه المرحلة يتم استخدام الألوان المعروفة وكذا الناصعة والبراقة بدرجة أكثر من غيرها.

وعقب ذلك وبناء على تنامي معرفة الألوان واكتمال القدرات العقلية، يبدأ الطفل في اختيار اللون عن قصد

بغرض إخفاء بعض الخصائص لشىء ما عن طريق اللون، بحيث يمكن من خلال التحليل أن نكشف عن وجود علاقة ما بين اللون وهذا الشىء.. ويصبح الإحساس باللون عند السنة الخامسة من العمر أكثر دقة، ويصل الطفل إلى التناسق الواقعى للألوان فى السنة السادسة من العمر تقريباً.

وبخصوص العلاقة بين الشكل - واللون، فإن هناك مظهراً جديراً بالملاحظة وهو عملية التلوين، فنشر اللون يتم عادة بتغطية حيز محدود من الرسم بدرجات متفاوتة من الألوان. وإذا ما نظرنا إلى رسوم الأطفال من زاوية التلوين لأمكننا تمييز ثلاثة مظاهر من الكروماتيزم : صياغة عشوائية للألوان، وصياغة جزئية، وصياغة كلية. وتظهر رسوم الأطفال أن منطقة بسط اللون تتسع شيئًا فشيئاً مع التقدم فى النمو (أوسفالدور فيرارى : ١٩٩٧).

إن لاختيار اللون معنى نفسياً لا نزاع فيه، بيد أن على تفسير النتائج أن يكون متفقًا مع سن الطفل، فإذا أخذنا نمو الطفل بعين الاعتبار نلاحظ وجود تواز بين دور اللون والناحية الانفعالية :

فالأطفال الصغار من سن الثالثة وحتى السادسة، يظهرون - بحكم اندفاعهم - اهتمامًا فائقًا باللون يسبق اهتمامهم بالشكل، ويضعف هذا الاهتمام بالنسبة للشكل كلما كبر سن الطفل، وكلما صغر سنه ازدادت الألوان الصارخة وتظهر الفوارق مع مرور الزمن، ويقل العنف فى الألوان، وذلك بتأثير تلازم التعليم المدرسى والتطور المنطقى الذى يخفف حدة الألوان. إذن ففى سن الحضانة، يفضل أغلب الأطفال الألوان الكثيفة الدافئة، أما الأطفال الذين يعانون من مشاكل عاطفية، فهم على نحو عام يختارون الألوان الباردة (أنا أوليفيريو فيراريس : ١٩٨٦).

والطفل السوى المتوافق فى المرحلة العمرية من سنتين إلى أربع سنوات يغلب أن لا يستخدم الألوان الباردة، ولكنه حين يرتقى ارتقاءً طبيعياً من مرحلة السلوك الاندفاعى إلى مستوى الضبط الشعورى، ومن مرحلة الكتلة - اللون إلى مرحلة الشكل والخطوط، فإنه من الطبيعى أن يتحول إلى استخدام الألوان الباردة فلا يعكس ذلك توافقاً لا سوياً (لويس مليكه : ١٩٩٠).

وكلما كان اختيار المفحوص للألوان أبطأ وأصعب كلما زاد احتمال وجود اضطراب فى شخصيته يشير إلى عدم قدرة الشخص على التوافق السليم، والأشخاص الذين يتسمون بالقلق والتردد، تكون خطوط الألوان التى يرسمونها ضعيفة وباهتة، وهم يفضلون الأسود والبنى والأزرق، وينفرون من الأحمر والبرتقالى والأصفر، أما الأسوياء فإنهم يستخدمون الألوان فى اطمئنان، ويرسمون الخطوط فى حزم وكأنهم بذلك يعبرون عن شعورهم بالثقة فى المجالات الانفعالية التى تمثلها الألوان، أما استخدام الألوان فى عنف وفى غير تناسق فإنه يكشف عن توتر وصراع (لويس مليكه : ١٩٩٠).

ويجب على الأخصائى الإكلينيكى أن يتعرف على كيفية استخدام المفحوص للألوان، فمثلاً هل يستخدم المفحوص الألوان ببساطة لعمل خطوط، كما يستخدم القلم الرصاص ؟ أم هل يستخدمه مثلاً للتظليل فى مساحات كبيرة ؟ هل يظلل مناطق معينة، ولا يظلل غيرها ؟ هل يكثر من استخدام اللون بالصورة التى يطلق عليها أحياناً «الإضاءة»، فيرسم العين مثلاً بحيث تبدو شديدة الزرقة أو شديدة السواد، وبارزة عن طريق رسمها فى أبعاد ثلاثة ؟ وقد وجد أن التظليل الكثير، وخاصة فى الأرضية وفى المقدمة يتضمن وجود قدر كبير من القلق (لويس مليكه : ١٩٩٠).

ثانياً - مدى واقعية التعبير بالألوان :

إن الاهتمام الحقيقي باللون يبدأ مع أولى محاولات الرسم، وفي هذه المرحلة التي تستمر حتى سن السابعة أو الثامنة، يستعمل الطفل اللون متأثراً بانفعالاته، لذا ليس ثمة علاقة بين الألوان والواقع. وقد يحدث في الرسم أن الطفل لا يربط أية علاقة بين الشيء ولونه المتعارف عليه، فقد يرسم لون الشعر باللون الأخضر، وذلك لكون هذا اللون يعجبه. وحين يكبر الطفل، يبدأ تدريجيًا في التعرف على العلاقات بين الألوان والأشياء، غير أن هذه العلاقات لا تقتصر في البداية إلا على الأشياء التي تحمل قيمة انفعالية لدى الطفل (أنا أوليفيريو فيراريس : ١٩٨٦).

وقد اتضح من دراسة عادل خضر فيما يتعلق بمدى واقعية ألوان الذات والأقران والأسرة في رسوم كل من الجانحين والأسوياء أنه فيما يتعلق بتحليل رسم الذات مع الأقران، اتضح أن الأسوياء يقومون بتلوين الذات والأقران بألوان متناسقة تتماشى مع الواقع الاجتماعي، بينما يقوم الجانحون بتلوين الذات والأقران بشكل يشذ عن الواقع الاجتماعي، حيث يتم تلوين الوجه بأكثر من لون والشعر بألوان غير واقعية وتلوين الملابس وكأنها قطع من القماش مركبة على قطع أخرى وهي أشبه بلبس «البلياتشو». وفيما يتعلق برسم الذات مع الأسرة، اتضح كذلك أن الأسوياء يقومون بتلوين الذات والأسرة بألوان تتماشى مع الواقع الاجتماعي (متناسقة) بينما يميل الجانحون نحو رسم الذات والأسرة بألوان تشذ عن الواقع الاجتماعي. أما فيما يتعلق بتحليل رسم الذات، فقد اتضح أن الأسوياء ينزعون نحو تلوين شعر الذات باللون الأسود - في كلتا وحدتي الرسم - بينما يميل الجانحون نحو تلوين شعر الذات باللون الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر والبني إلى جانب اللون الأسود. كذلك في حين يقوم الأسوياء بتحديد ملامح وجه الذات باللون الأسود - في كلتا وحدتي الرسم - نجد أن الجانحين يميلون إلى تحديد ملامح وجه الذات باللون الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والبني إلى جانب اللون الأسود (عادل خضر : ١٩٨٩).

ثالثاً - عدد الألوان المستخدمة في الرسم :

من المهم معرفة عدد الألوان التي استخدمت في الرسم، وذلك لما لها من دلالتها في تحليل الشكل المرسوم، وفي دراسة قام بها عادل خضر باستخدام أسلوب رسم الذات مع الأقران والأسرة، تبين من النتائج فيما يتعلق بعدد الألوان المستخدمة في الرسم أنه فيما يتعلق بتحليل رسم الذات مع الأسرة، اتضح أن الأسوياء يميلون إلى استخدام عدد من الألوان في رسم ملابس الذات أكثر من عدد الألوان التي يستخدمونها في رسم ملابس الأسرة، بينما يميل الجانحون نحو استخدام عدد من الألوان في رسم ملابس الذات أقل من عدد الألوان التي يستخدمونها في رسم ملابس الأسرة. أما فيما يتعلق بتحليل رسم الذات، فقد اتضح أن الأسوياء يميلون إلى استخدام لونين اثنين في تلوين ملابس الذات، بينما يميل الجانحون نحو استخدام لون واحد فقط في تلوين ملابس الذات (عادل خضر : ١٩٨٩).

وفي دراسة أجرتها سناء يس (١٩٨٥) عن خصائص رسوم التلاميذ المصريين في مرحلة المراهقة المبكرة، تبين من النتائج أن طلاب المرحلة الإعدادية الذين يتسمون بالثبات الانفعالي يميلون إلى استخدام خمسة أو ستة أو سبعة ألوان، وهي أعداد متقاربة، أما

الطلاب الذين يتصفون بعدم الاتزان الانفعالى فيقتصر استخدامهم للألوان على أربعة أو ثمانية ألوان فقط، وهى أعداد متباعدة، مما يدل على التشتت الانفعالى (سناء يس : ١٩٨٥).

ويمكن تبين عـدة دلالات فـيـمـا يتـعلق بالألوان المستخدمة فى رسم شكل الإنسان وهى :

(أ) استخدام عدد كبير من الألوان فى الرسم :

يستخدم الأطفال جيدو التوافق فى رسومهم للشكل خمسة ألوان مختلفة على الأقل، بينما يكتفى الأطفال الانطوائيون أو الذين لا يرغبـون فى إقامة علاقات مع العالم الخارجى بلونٍ أو اثنين فقط (أنا أوليفيريو فيراريس : ١٩٨٦). كـذلك تبين من دراسة Hare & Hare أن الأطفال المتوافقين يستخدمون فى رسومهم عدداً أكبر من الألوان من تلك التى يستخدمها الأطفال سيئى التوافق (Hare & Hare : 1956).

(ب) استخدام عدد قليل للغاية من الألوان فى الرسم :

إذا استخدم الطفل عدداً قليلاً من الألوان فى الرسم دل ذلك على عجزه عن ضبط الحوافز الانفعالية، وخاصة إذا صاحبه استخدام غير مألوف للألوان، وقد وجد أن عدد الألوان التى يستخدمها الطفل يقل بزيادة السن نتيجة زيادة الضبط الانفعالى مع التقدم فى العمر. وإذا استخدم المفحوص فى الرسم لوناً واحداً فقط، كما يستخدم القلم الرصاص دون تظليل على الإطلاق، فإننا نفترض - على أحسن الحالات - أنه ينفر من إظهار انفعالاته (لويس مليكه : ١٩٩٠). وقد وجدت رجاء مازن أن الأطفال المضطربين نفسياً يميلون إلى استخدام عدد من الألوان أقل من الأطفال الأسوياء (Mazen : 1963).

(جـ) عدم استخدام الألوان فى رسم الشكل :

إن غياب اللون فى رسم الشكل المرسوم أو جزء منه، يدل على فراغ عاطفى، كما يدل أحياناً على ميل إلى معاداة المجتمع)أنا أوليفيريو فيراريس : ١٩٨٦).

رابعاً - تفضيل الأطفال لاستخدام ألوان معينة فى الرسم :

غالباً ما يكون لاختيار وتوظيف ألوان محددة مبررات قوية، إذا ما نظرنا إلى الأحاسيس المختلفة التى غمرت الأطفال. والحقيقة أن النمو النفسى ومن ثم النضج المتدرج لملكات الطفل الذهنية تفسر تعدد واختلاف اختيار الألوان وسبل توظيفها. فالأطفال يعطون لعملية التلوين (للألوان) وظيفة من نوع عقلى، وفى حالات أخرى وظيفة من نوع انفعالى (أوسفالدور فيرارى : ١٩٩٧).

وترى كل من آلشولر و هاتويك أن الاهتمام الشديد من قبل الأطفال باستخدام اللون يغلب أن يتوازى مع انفعالاتهم، فالطفل الذى يتسم ببواعث انفعالية قوية ينزع إلى تفضيل ألوان معينة، كذلك ينزع الطفل الذى يجاهد ضد التعبير عن بواعث انفعالية قوية إلى تجنب استخدام الألوان الدافئة مثل الأحمر والأصفر والبرتقالى، وهو فى ذلك يختلف عن الطفل الذى يجد فى استخدام اللون متنفساً للتعبير عن انفعالاته (لويس مليكه : ١٩٩٠).

وقد اتضح من الدراسات السابقة أن هناك عدة عوامل ترتبط بتفضيل الشخص للون على آخر، لعل أهم هذه العوامل هى السن والحالة المزاجية وسمات الشخصية،

ومن حيث السن فقد اتضح أن صغار الأطفال يفضلون اللون الأصفر والأحمر، بينما يفضل الأطفال الكبار اللون الأزرق والأخضر ومن حيث العلاقة بين الحالة المزاجية وتفضيل استخدام ألوان معينة، فقد وجد أن اللون الأحمر يرتبط بالإثارة والهيجان والعنف، واللون الأصفر يرتبط بالمزاح، واللون الأخضر يرتبط بالهدوء والراحة، واللون الأزرق يرتبط بالنضارة، واللون الأسود يرتبط بالحزن (Norman & Scott : 1952).

أما عن العلاقة بين سمات الشخصية وتفضيل ألوان معينة فى الرسم، فقد لوحظ أن كل من اللون الأزرق والأسود والبنفسجى يرتبطون بالهدوء، ويرتبط اللون البرتقالى والأحمر بالاجتماعية، ويرتبط اللون الأسود بالاكتئاب، ويرتبط اللون البرتقالى بالميل الشهوانى، ويرتبط اللون الأخضر والبنفسجى بالحساسية، ويرتبط اللون الأحمر القاتم بالصحة والعنف والفرح الشديد، ويرتبط اللون الأزرق الفاتح (لدى صغار الأطفال بالعصبية Norman & Scott : ١٩٥٢).

وفى دراسة للباحثتين آلشولر و هاتويك تبين لهما أن الأطفال الذين يستخدمون الألوان الدافئة (الأحمر والأصفر والبرتقالى) بصورة مضطردة يتسمون بالتعبير الحر عن انفعالاتهم وإقامة علاقات ودية دافئة مع الآخرين ويتعاطفون معهم ويعتمدون عليهم وجدانياً، ويتعاونون فى اللعب مع أقرانهم ويكونون جيدى التوافق.. بينما اتضح أن الأطفال الذين يستخدمون الألوان الباردة (الأزرق والأسود والأخضر والبنى) يتسمون بسلوك مفرط فى الضبط والتحكم والتواؤم، وينزعون إلى تأكيد ذاتهم بالقيادة الفكرية والاهتمامات الذهنية والجرأة والعدوانية فى اتصالهم مع الآخرين، كما أنهم يكونون قويى الإرادة أنانيين، ويميلون إلى الاستقلال عن الراشدين (لويس مليكه : ١٩٩٠).

وقد اتضح من دراسة سامح إسماعيل أن تفضيل الأطفال لاستخدام الألوان إنما يرتبط بالعمر والثقافة، فمن حيث العمر تبين أن الأطفال فى المرحلة العمرية من ٦ ـ ٩ سنوات يفضلون استخدام كل من اللون الأزرق والأخضر والبنى والأسود، بينما الأطفال فى المرحلة العمرية من ١٠ ـ ١٢ سنة يفضلون استخدام كل من اللون الأحمر والأصفر والبنفسجى. أما من حيث الثقافة فقد وجد أن أطفال الحضر يفضلون استخدام اللونين الأحمر والبنى، بينما يفضل أطفال الريف استخدام كل من اللون الأخضر والأصفر والبنفسجى (خالد عبد الغنى : ٢٠٠٣).

ومن حيث العلاقة بين مستوى الذكاء واستخدام ألوان معينة فى الرسم فقد اتضح من دراسة أحمد سليم والتى تدور حول «اختيار الألوان كما تبدو فى عينة من رسوم التلاميذ المصريين بالمرحلة الإعدادية ودلالتها النفسية والتربوية»، أن هناك خصائص لونية تميز كلا من مرتفعى الذكاء ومنخفضى الذكاء، حيث اتضح أن الأذكياء يوظفون اللون بصرياً قريباً من الواقع، ويقومون بتلوين الشكل الواحد بعدة ألوان، وهم يقومون بالتلوين داخل حدود الشكل، واتضح أن الأقل ذكاءً يوظفون اللون ذاتياً بعيداً عن الواقع، ويتميزون بتكرار الشكل فى الرسم بلون واحد أو بعدة ألوان. كذلك تبين أن اللون الأحمر يمثل المرتبة الأولى لدى ذوى مستوى الذكاء المرتفع، بينما يمثل اللون الأصفر المرتبة الأولى لدى ذوى مستوى الذكاء المنخفض (أحمد عبده سليم : ١٩٨٠).

وفيما يلى نستعرض الدلالات النفسية الخاصة بتفضيل الأطفال لألوان معينة فى الرسم :

ـ تفضيل اللون الأحمر :

يغلب أن يكون تفضيل اللون الأحمر مميزاً للطفل الذى ينزع إلى الاستجابة الحرة طبقاً لمشاعره، وإلى الاهتمام الأقل بالمعايير الخارجية. وهو جيد التوافق طبقاً للمرحلة الارتقائية التى يكون فيها، كما أنه يقيم علاقات طيبة مع الأطفال ومع الراشدين ويتعاون فى اللعب. ولكن استخدام اللون الأحمر قد لا يعكس دائمًا توافقًا جيداً وذلك فى الحالات التى يتكرر فيها استخدام هذا اللون بدرجة مفرطة مع استبعاد الألوان الأخرى. وقد يلجأ الأطفال الذين يواجهون صراعًا مثلاً بين حرية التعبير وتقييده إلى استخدام اللون الأحمر ثم تغطيته بلون آخر (لويس مليكه : ١٩٩٠). وفى رسم حر قام به أحد الأطفال يبلغ من العمر ١٠ سنوات، عادى الذكاء، قام برسم بحر واستخدم اللون الأحمر فى تلوين ماء البحر، وبمناقشة الطفل عن لون ماء البحر قال أنه يعلم أن لون ماء البحر يكون أزرق ولكنه يرغب فى أن يلونه باللون الأحمر، ولا عجب فى ذلك بعد أن عرفت من الأم أن العلاقة متوترة بين الطفل وأسرته وخاصة الأم. فقد نقل الطفل صراعه مع أسرته وأمه على ورقة الرسم، وكان اللون الأحمر لماء البحر بمثابة الدماء السائلة الناتجة عن هذا الصراع.

ـ تفضيل اللون الأصفر :

اللون الأصفر مؤشر على السلوك الاعتمادى الانفعالى، ويرتبط استخدامه بحرية مع سمات الطفل السعيد المقبل على الناس، والذى يقيم علاقات طيبة مع الأطفال الآخرين (لويس مليكه : ١٩٩٠). بينما تبين من دراسة سناء يس أن استخدام اللون الأصفر يشيع فى رسوم الطلاب المراهقين الذين يتصفون بالسيطرة والتحكم (سناء يس : ١٩٨٥).

ـ تفضيل اللون البرتقالى :

هذا اللون مؤشر على التوافق الطيب مع البيئة، وعلى دفء العلاقات الانفعالية ولكن دون تزيد. ويجد الطفل المتهيب الخجول الذى يخشى التعبير الانفعالى اللغوى مهرباً له فى اللون البرتقالى (لويس مليكه : ١٩٩٠).

ـ تفضيل اللون الأزرق :

يفضل الأطفال فى السن من سنتين إلى أربع سنوات استخدام اللون الأزرق. وهو له دلالة الضبط الانفعالى (لويس مليكه : ١٩٩٠). وتبين من دراسة سناء يس أن استخدام اللون الأزرق يشيع فى رسوم الطلاب المراهقين الذين يتسمون بالخضوع (سناء يس : ١٩٨٥).

ـ تفضيل اللون الأخضر :

يتميز الأطفال الذين يفضلون اللون الأخضر بقلة الانفعالات والهدوء (لويس مليكه : ١٩٩٠). وتبين من دراسة سناء يس أن استخدام اللون الأزرق يشيع فى رسوم الطلاب المراهقين الذين يتسمون بالخضوع (سناء يس : ١٩٨٥).

ـ تفضيل اللون الأسود :

يعانى الأطفال الذين يفضلون اللون الأسود من فقر فى السلوك الانفعالى يعكس الكبت الناشئ عن الخوف والقلق (لويس مليكه : ١٩٩٠).

أما بخصوص إدراك الأطفال أنفسهم لدلالة اللون فقد تبين من بحث أجراه Cimbalo وآخرون أن الألوان التى

يرى الأطفال أنها ألوان سعيدة هى على التوالى : الأصفر، البرتقالى، الأخضر، الأزرق. أما الألوان الحزينة فهى : الأحمر، البنى، والأسود. كذلك اتضح أن اللون الأسود يرتبط لديهم بالليل والظلام والموت، بينما يرتبط الأصفر بالشمس والضياء والدفء (Cimbalo , et al. : ١٩٧٨).

خامساً ـ طريقة الأطفال فى وضع الألوان على لوحة الرسم :

ليس اللون وحده هو الذى يعكس شخصية الطفل، ولكن طريقة وضع اللون على اللوحة لها أيضاً اعتبارها وأهميتها، وقد وجد أن هناك أربعة طرق يلجأ إليها الأطفال لوضع اللون على اللوحة وهى :

(١) وضع لون فوق آخر :

يلجأ الأطفال إلى تغطية الألوان بعضها ببعض حين يودون إخفاء مشاعرهم وحالاتهم النفسية لسبب أو آخر، فالتغطية هنا تقوم بنفس الدور الذى يقوم به التمويه فى الحرب فيمنع «العدو» من معرفة شيء يجب إخفاؤه، ولهذا فإن الألوان الباردة هى التى تغطى الألوان الحارة، ويفضل الأطفال استخدام اللون الأزرق غالبًا فى تغطية الألوان الأخرى واللون الأزرق يدل على التحكم الواعى للشعور (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠).

(٢) وضع الألوان منفصلة متباعدة :

بينما تكون رغبة الأطفال الذين يلجئون إلى تغطية الألوان بعضها ببعض هى إخفاء مشاعرهم، تكون رغبة أولئك الذين يضعونها بعضها بجوار بعض دون خلط بينها هى الكشف عن ذواتهم ووضعها وضعاً صريحاً حازماً، ولهذا فلا توجد فى شخصيتهم العقد التى نجدها عند غيرهم. ويبدو هذا الاتجاه فى الرسم واضحاً عند الأطفال الذين يهتمون اهتمامًا واعيًا بالتكيف مع المطالب الخارجية. ولكن من جهة أخرى ترى آلشولر و هاتويك أنه كلما زاد الحرص على الفصل بين الألوان ازدادت الدلالة على الجمود والتصلب فى الانصياع للبيئة (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠ لويس مليكه : ١٩٩٠).

(٣) مزج الألوان :

يعبر مزج الألوان عن علاقات طيبة وقدرة على التوافق فى المجتمع بسهولة وبلا تزمت بعكس كما الحال عند الأطفال الذين يلجئون إلى فصل الألوان بعضها عن بعض. ويدل أيضًا على مشاعر أكثر حرية وأبسط تكويناً (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠).

(٤) خلط الألوان بلا تمييز :

طبيعى أن يكون خلط الألوان بلا تمييز هو أول عهد الطفل باستعمال الألوان، ففى هذا الوقت لا يكون الطفل قد أدرك معنى اللون إذ يتطلب ذلك وقتًا غير قصير، ولهذا فإن خلط الألوان وإن جاء متأخراً كشف عن رغبة فى العودة إلى الطفولة الأولى، وقد يكون خلط الألوان دليلاً على رغبة الطفل فى تلويث أو تلطيخ الورقة ليس إلا (كمال لطيف : ١٩٤٩ / ١٩٥٠).

خاتمة :

فيما سبق عرضنا لاستخدام الأطفال للألوان فى رسومهم واستعرضنا أهم العناصر التى اهتم بها الباحثون فى مجال الدلالات النفسية للألوان فى رسوم الأطفال.. وقد تبين من الدراسات السابقة أن هناك تطوراً فى

استخدام الألوان فى رسوم الأطفال كلما تقدم الطفل فى العمر، كما تبين أن تفضيل الأطفال لاستخدام ألوان معينة، وكذا طريقة وضع الألوان فى رسومهم يرتبط بالفئة العمرية التى يمرون بها وأيضاً بسمات شخصيتهم.

وليس من شك أن استخدام الألوان فى الرسم بالنسبة للأطفال له دلالته النفسية التى يجب أن نحرص على تفهمها لكونها مدخلنا لفهم شخصية الطفل، ونحن إذ نؤكد على ذلك فإننا نوجه الباحثين المهتمين إلى اختبار دلالة اللون النفسية من خلال إجراء الدراسات التطبيقية فى بيئتنا المحلية حيث أن الدلالات التى ذكرناها فى مقالنا هى دلالات حصلنا عليها من دراسات أجنبية فى أغلبها، كما أنه يتضح من نتائجها أن هناك بعض التناقضات فيما يتعلق بالدلالات الخاصة ببعض الألوان، وذلك يستدعى من جانبنا القيام بدراسات ميدانية فى مجتمعاتنا العربية، وفى بيئتنا المصرية للتحقق من صدق الدلالات النفسية والرمزية لاستخدام الأطفال للألوان فى رسومهم. هذا إلى جانب حاجتنا لمعرفة الفروق فى دلالات اللون بين الأطفال والراشدين، وبين الذكور والإناث، وبين المرضى والأسوياء، وبين البيئات الحضرية والريفية فى مجتمعنا المحلى. كل ذلك وغيره يحتاج منا أن نداوم البحث للتعرف على الدلالات النفسية والرمزية للألوان.

المراجع العربية

١ ـ **أحمد عبده سليم**: اختيار الألوان كما تبدو فى عينة من رسوم التلاميذ المصريين بالمرحلة الإعدادية ودلالتها النفسية والتربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية ـ جامعة حلوان، ١٩٨٠.

٢ ـ **أنا أوليفيريو فيراريس**: رسوم الأطفال ومعانيها. ترجمة : مياسة قصار، دمشق : منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٦.

٣ ـ **أوسفالدو ورناتو فيرارى**: الرسم عند الأطفال. ترجمة: فوزى عيسى و عبد الفتاح حسن عبد الفتاح. القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٧، ط ١.

٤ ـ **خالد محمد عبد الغنى**: دراسة تطور رسوم الأطفال والمراهقين العاديين فى اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص ومقارنتها برسوم المرضى النفسيين والفئات الخاصة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ببنها ـ جامعة الزقازيق، ٢٠٠٣.

٥ ـ **سناء فهمى يس**: خصائص رسوم التلاميذ المصريين فى مرحلة المراهقة المبكرة وعلاقتها ببعض سمات الشخصية. رسالة ماجستير ـ كلية التربية ـ جامعة حلوان، ١٩٨٥.

٦ ـ **عادل كمال خضر**: دراسة مقارنة بين الأسوياء والجانحين على أسلوب رسم الذات والأقران والأسرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٩.

٧ ـ **كمال زاخر لطيف**: الألوان والخطوط والمسافات ديناميكا تكاملية. فى مجلة علم النفس، مجلد ٥، عدد ٢، القاهرة : دار المعارف، أكتوبر ١٩٤٩ ـ يناير ١٩٥٠.

٨ ـ **لويس كامل مليكه**: دراسة الشخصية عن طريق الرسم. الكويت : دار القلم،١٩٩٠، ط ٦.

المراجع الأجنبية

9- **Cimbalo, R., Beck, K. and Sendziak, D.:** "Emotionally Toned Pictures and color Selection for Children and College Student" .The Journal of Genetic Psychology, 1978, V. 133, PP. 303 - 304 .

10- **Hare, A. & Hare, R.:** The Draw -A Group Test. The Journal of Genetic Psychology, 1956, V. 89, PP. 51 - 59 .

11- **Mazen , Ragaa :** Comparative Study of The Drawings of Normal and Disturbed children. Yale University, Department of Psychology, 1963 .

12- **Norman & Scott:** Color and Affect: A Review and Semantic Evaluation . The Journal of General Psychology, 1952, 46, PP. 185 - 223 .